﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب: 47 - 48]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

تحقيقُ مضامينِ الصِّفاتِ السّابقةِ للنَّبيِّ ﷺ

لمّا ذكرَ ﷻ أنَّهُ أرسلَ نبيَّهُ ﷺ مُتَّصفًا بتلكَ الصِّفاتِ الجليلةِ ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾؛ أمرَ بتطبيقِ ثمراتِها عليها فقالَ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ...، الآية[1]، فهذا جزاءٌ لهؤلاء المؤمنين على ما قدَّموا.

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى؛ فهي أنَّهُ ﷻ لمّا أمرَ نبيَّهُ ﷺ بما يَسُرُّ؛ نهاهُ عمّا يَضُرُّ، فقالَ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَضْلًا﴾: (فضل) أصلٌ يدلُّ على زيادةٍ في شيءٍ[3]، ومِنْ ذلكَ: الفَضْلُ، وهو الزّيادةُ والخيرُ، والإفضالُ: الإحسانُ، ومنهُ يُقالُ: رجلٌ مُفْضِلٌ[4]، وأمّا المُتفضِّلُ فهو المُدَّعي للفَضْلِ على أقرانِهِ[5]، والمُرادُ بالفضلِ هنا: الثَّوابُ.

2) ﴿أَذَىٰهُمْ﴾: (أذي) أصلٌ يدلُّ على الشَّيءِ المكروهِ[6]، ومِنْ ذلكَ: الأذَى، وهو الضَّرَرُ الحاصلُ في النَّفسِ أوِ الجسمِ[7]، والمرادُ بالأذى هنا: الضَّرَرُ الحاصلُ لهُ ﷺ مِنْ أقوالِهم وأفعالِهم[8].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 488، والبقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 373.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 331.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فضل)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (فضل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فضل).
(5) الرّاغب، المُفردات: (فضل)، والسّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: (فضل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أذي).
(7) الرّاغب، المُفردات: (أذي).
(8) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 547.

3) ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ ﴿وَكِيلًا﴾: جذرُ هذهِ الكلمةِ: (وكل)، وهو أصلٌ يدلُّ على الاعتمادِ على الغيرِ[1]، ومِنْ ذلكَ: التَّوكيلُ، وهو أنْ تعتمدَ على غيرِكَ وتجعلَهُ نائبًا عنكَ[2]، والتَّوكُّلُ على اللهِ: الاعتمادُ عليهِ، وتفويضُ التَّدبيرِ إليهِ[3]، والمُرادُ بقولِهِ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: اعتمِدْ عليهِ، وفوِّضِ الأمرَ إليهِ، وقولُهُ: ﴿وَكِيلًا﴾؛ أيْ: مُتولِّيًا أمورَ خلقِهِ وحافظًا لها[4]؛ فإنَّ الوكيلَ هو مَنْ يُعتمَدُ عليهِ في الأمورِ المُهِمَّةِ[5].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عنايةُ اللهِ تعالى بالنَّبيِّ والمؤمنينَ وكفايتُهم عدوَّهم

وبشِّرْ - يا محمَّدُ - أهلَ الإيمانِ والتَّوحيدِ بأنَّ لهُم ثوابًا عظيمًا بإدخالِهم الجنَّةَ وتضعيفِ حسناتِهم أضعافًا كثيرةً، ولا تُطِعِ الكافرينَ والمنافقينَ، ولا تسمَعْ لأقوالِهم الَّتي تدعوكَ إلى التَّقصيرِ في تبليغِ ما أُرسِلْتَ بهِ، وأعرِضْ عن أذاهم لكَ في شخصِكَ، واصبِرْ عليهِ، ولا يَمْنَعْكَ ذلكَ عن القيامِ بما أُمِرْتَ بهِ، وفوِّضِ الأمرَ والتَّدبيرَ إلى اللهِ، وثِقْ بهِ؛ فإنَّهُ يكفيكَ كلَّ شيءٍ، وحَسْبُكَ باللهِ قيِّمًا بأمورِكَ، وحافظًا لكَ.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### بلاغةُ عطفِ ﴿وَبَشِّرِ﴾:

عظيمُ عنايةِ اللهِ بالنَّبيِّ ﷺ وبالمؤمنينَ معه

قولُهُ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوفٌ بحسَبِ الظَّاهرِ على جملةِ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾، وبينَهما كمالُ الانقطاعِ لاختلافِهما خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنًى، وذلكَ يوجِبُ الفصلَ، فتُحمَلُ الواوُ هنا على أنَّها عطفَتْ جملةَ بشارةِ المؤمنينَ - أي: قصَّةَ هذهِ البِشارةِ - على جملةِ إرسالِهِ ﷺ شاهدًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا، فيكونُ مِنْ عطفِ القصَّةِ على القصَّةِ[6]، وليسَ عطفًا لجملةٍ مُعيَّنةٍ على جملةٍ مُعيَّنةٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل)، والزّبيديّ، تاج العروس: (وكل).
(2) الرّاغب، المُفردات: (وكل).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 58.
(4) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 390.
(5) السّمين، عُمدة الحُفّاظ: (وكل).
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 224.

فيُطلَبَ معَهُ التَّناسبُ بينَ الجملتيْنِ في الخبريَّةِ والإنشائيَّةِ، وفي الانتقالِ مِنَ الخبرِ إلى الإنشاءِ لَفْتٌ وإثارةٌ، وتنبيهٌ على عظيمِ عنايةِ اللّهِ بالمؤمنينَ وبسَوْقِ البُشرى الَّتي تسرُّ قلوبَهم، وعظيمِ كرامتِهم عندَهُ[1].

ويحتملُ أنْ يكونَ قولُه: ﴿وَبَشِّرِ﴾ معطوفًا على إنشاءٍ مُقدَّرٍ يقتضيهِ سياقُ الكلامِ، كأنَّهُ قيلَ: إنّا أرسلناكَ شاهدًا ومُبشِّرًا فاشهَدْ وبشِّرْ[2]، أو: فراقِبْ أحوالَ أمَّتِكَ وبشِّرِ المؤمنينَ منهُم[3]، وفي العطفِ عنايةٌ بكونِ البشارةِ واردةً بعدَ معرفتِهِ ﷺ بأحوالِ أُمَّتِهِ ومَنْ يستحقُّ البشارةَ منهُم ومَنْ لا يستحقُّها.

**بلاغةُ الأمرِ ﴿وَبَشِّرِ﴾:**

أُمِرَ بالتَّبشيرِ في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ إيناسًا للمؤمنينَ بسلامةِ الطَّريقِ الَّذي يسلكونَهُ؛ لأنَّهم يستنيرونَ بهدايةِ النَّبيِّ ﷺ، ويقفونَ عندَ حدودِ اللّهِ سبحانَهُ، وإدخالًا للفرحِ والسُّرورِ على قلوبِهم، وحثًّا لهُم على الاستزادةِ مِنَ الإيمانِ والعملِ الصّالحِ؛ لأنَّ السّالكَ في الطَّريقِ إذا علمَ سلامتَهُ، وتيقَّنَ أنَّهُ بالغٌ نهايتَهُ، زادَ نشاطُهُ في المسيرِ.

السّالك إذا أيقن بالسَّلامة نشطتْ هِمَّتُهُ في المَسيرِ

**نكتةُ صيغةِ التَّفعيلِ ﴿وَبَشِّرِ﴾:**

جيءَ بصيغةِ التَّفعيلِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على مزيدِ الاعتناءِ بالبشارةِ، والحثِّ على الإكثارِ منها؛ لأنَّ السّائرَ في طريقِ الحقِّ يتعرَّضُ للفِتَنِ والمِحَنِ والابتلاءاتِ مِنْ أعداءِ الدّينِ، والبشارةُ ممّا يقوّي عزمَهُ على المسيرِ والاستقامةِ.

تثبيتُ السّائرينَ في طريقِ الحقِّ

**نُكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:**

جيءَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِ الحقِّ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَبَشِّرِ

أهلُ البشارةِ هم أصحابُ الإيمانِ الرّاسخِ

(1) أبو موسى، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 366.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 174.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 234، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 108.

ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصّيغةُ مِنْ ثباتِ الإيمانِ واستقرارِهِ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّ المأمورَ بتبشيرِهم هم أهلُ الإيمانِ الرّاسخِ الَّذينَ خالطَتْ بشاشةُ الإيمانِ قلوبَهم، وصحَّ لهُم هذا الوصفُ[1]، حتَّى امتزجَ بدمائِهم وعُروقِهم، وصارَ سَجيَّةً فيهم.

### دلالةُ الباءِ في قولِهِ تعالى: ﴿بِأَنَّ﴾:

قـوَّةُ تعلُّقِ البشارةِ بالمُبَشَّرينَ

الباءُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ للتَّعديةِ؛ لأنَّ فعلَ التَّبشيرِ يتعدَّى بها غالبًا، فتفيدُ تقويةَ العاملِ، وقد تُحذَفُ أحيانًا إيجازًا، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [البقرة: 25].

### نكتةُ التَّوكيدِ في الآيةِ الكريمة:

بشارةُ المؤمنينَ حاصلةٌ لا ريبَ

جيءَ بقولِهِ تعالى: ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ مُصدَّرًا بالتَّوكيدِ؛ لإظهارِ الاعتناءِ بمضمونِهِ تكريمًا للمؤمنينَ، ولتقويةِ أثرِ البِشارةِ في نفوسِهم؛ لأنَّ مقامَ التَّبشيرِ مقامُ وعدٍ بعطاءٍ، وهو مِنْ مَحازِّ استعمالِ التَّوكيدِ؛ ليتيقَّنَ المُبشَّرُ بحصولِ المُبشَّرِ بهِ، ويزدادَ سرورُهُ الَّذي هو غرضُ البِشارةِ.

### دلالةُ اللّامِ في ﴿بِأَنَّ لَهُم﴾:

استحقاقُ المؤمنينَ للمُبشَّرِ بهِ واختصاصُهم به

اللّامُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ للاستحقاقِ، وهي تفيدُ أنَّ المُبشَّرَ بهِ مُستحَقٌّ للمؤمنينَ تفضُّلًا منهُ ﷻ، جزاءً لهُم على إيمانِهم، وفيها أيضًا دلالةٌ على اختصاصِ الفضلِ الكبيرِ بهِم، وأنَّهُ لا يتجاوزُهم إلى غيرِهم، ولا ينازعُهم فيهِ أحدٌ.

### غرضُ تقديمِ ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾:

الأصلُ في تقديمِ ما حقُّه التَّأخيرُ القصرُ والاختصاصُ، كأنّه سبحانه يقول: هذا الفضل الكبير مقصورٌ عليهم دون غيرهم، وهم

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 373.

مخصوصون به، والأصلُ أنْ يُقالَ: (بأنَّ فضلًا كبيرًا مِنَ اللهِ لهُم)، لكنْ قُدِّمَ المُسندُ ﴿لَهُم﴾؛ لِما سبق ذِكْرُه وللعنايةِ بالمُقدَّم وتعجيلِ مَسَرَّةِ المؤمنينَ بهِ، ببيانِ أنَّ لهُم شيئًا يستحقّونَهُ، والتَّشويقِ للمُؤخَّرِ - وهو الفضلُ الكبيرُ - ليتمكَّنَ عندَ ورودِهِ على النَّفْسِ غايةَ التَّمكُّنِ، وقُدِّمَ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ لزيادةِ الاغتباطِ بعطيَّةِ الكريمِ المُتفضِّلِ، يضافُ إلى ذلكَ أنَّ في تأخيرِ المُسنَدِ إليهِ ﴿فَضْلًا﴾ وصفتِهِ ﴿كَبِيرًا﴾ رعايةً لتلاؤمِ الفواصلِ، وتقويةً للاختصاصِ المُستفادِ مِنَ اللّامِ في ﴿لَهُم﴾.

في الفضلِ الكبيرِ سرورٌ كبيرٌ للمؤمنينَ باختصاصهم به وقصْرِه عليهم

**دلالةُ ﴿مِّنَ﴾:**

حرفُ الجرِّ ﴿مِّنَ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ للابتداءِ، وهو يفيدُ أنَّ ابتداءَ الفضلِ الكبيرِ مِنَ اللهِ سبحانَهُ، فهو المُتفضِّلُ بهِ، والمُنعِمُ عليهم بهِ.

**سرُّ إظهارِ لفظِ الجلالةِ:**

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (منهُ) لتقدُّمِ لفظِ الجلالةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ فقيلَ: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ في التَّبشيرِ بالفضلِ الكبيرِ وعدًا، وفي التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾ تحقيقٌ لإنجازِهِ؛ لأنَّهُ وعدٌ عظيمٌ لا يقدرُ عليهِ إلّا الَّذي لهُ جميعُ صفاتِ العظَمةِ والجلالِ الَّتي يشتملُ عليها لفظُ الجلالةِ[1]، وذلكَ يزيدُ يقينَ المؤمنينَ بنيلِ الموعودِ، ويحثُّهم على المُسارعةِ في الخيراتِ والاصطبارِ عليها.

لا يقدرُ على إنجازِ الموعودِ العظيمِ إلّا العظيمُ

**سرُّ تقديمِ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾:**

أصلُ الكلامِ أن يُقالَ: (وبشِّرِ المؤمنين بأنَّ فضلًا كبيرًا من اللهِ لهم)، والأصل في تقديمِ ما حقُّه التّأخيرُ القصرُ والاختصاصُ، كأنَّه ﷻ يقول: هذا العطاء والفضل منَ اللهِ وحده، لا يقدر عليه أحدٌ غيره، ولذا يجب على المؤمنين ألّا يبحثوا عن عطاءِ اللهِ وفضله

قصرُ عطاءِ المؤمنين على الله ﷻ، لإبعادهم عن تعلُّقهم بغيره

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374.

من غيره، فليأخذوا بالأسباب لكن عليهم ألّا يتعلقوا بها؛ بل يكون تعلُّقهم بالمُسبِّب سبحانه وحده، كما أنَّ فيه عنايةً بالمُقدَّم؛ لأنَّه منَ اللّه، وفيه تشويقٌ للمُؤخَّر، يُضاف إلى ذلك أنَّ في التَّقديم رعايةً لتلاؤم الفواصل القرآنيَّة.

### نكتةُ التَّعبيرِ بالفضلِ:

المؤمنونَ لهُم الحُسنى وزيادةٌ

الظّاهرُ أنَّ المُرادَ بالفضلِ في قولِه ﷻ: ﴿فَضْلًا﴾: العطاءُ الَّذي يزيدُهُ المُعطي على العطيَّةِ، والمعنى: أنَّ لهُم ثوابَ أعمالِهم الموعودَ بهِ وزيادةً مِنْ عندِ ربِّهم، كما قالَ تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26][1]، وفي التَّعبيرِ بالفضلِ إشارةٌ إلى أنَّهُ كرمٌ مِنَ اللّهِ وإحسانٌ[2]، وكونُهُ جزاءً لأعمالِ المؤمنينَ لا يعني أنَّ لهُم استحقاقًا حقيقيًّا لهُ، وإنَّما هو استحقاقٌ صوريٌّ، جعلَهُ اللّهُ وسيلةً للتَّرغيبِ في العملِ الصّالحِ.

تشريفُ الإيمانِ وأهلِهِ، وعُلوّ شأنِهما عندَ الله

يحتملُ أيضًا أنْ يكونَ المُرادُ بالفضلِ تفضيلَهم على سائرِ الأممِ، والمعنى: بشِّرْهم بأنَّ لهُم زيادةً على سائرِ الأممِ في الرُّتبةِ والشَّرفِ والمنزلةِ[3]، فيفيدُ الكلامُ تشريفَ الإيمانِ وأهلِهِ، وعُلوَّ شأنِهما عندَ اللّه ﷻ.

### علَّةُ تنكيرِ ﴿فَضْلًا﴾:

العطيَّةُ على مِقدارِ مُعطيها

نُكِّرَ ﴿فَضْلًا﴾ لتعظيمِهِ وتفخيمِهِ وتكثيرِه؛ أيْ: فضلًا أيَّ فضلٍ، فضلًا عظيمَ الشَّأنِ والقَدْرِ، وافرَ المقدارِ، لا يُقادَرُ قَدْرُهُ، ولا تُحيطُ بكُنْهِهِ العبارةُ، ولتذهبَ النَّفْسُ في تقديرِهِ مذاهبَ شتَّى، فالعطيَّةُ على قَدْرِ مُعطيها، فما بالُكَ بعطيَّةِ العظيمِ الكريمِ الرَّحيمِ ﷻ؟!

### نكتةُ الوصفِ بالكبيرِ:

لا مثيلَ لأجرِ المؤمنينَ في نفاستِهِ لأنَّه في الجنَّة

وُصِفَ الفضلُ بكونِهِ كبيرًا في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾؛

(1) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 382، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 57.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 108.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 108.

لزيادةِ تفخيمِ شأنِه؛ فكونُهُ مِنَ اللهِ كبيرٌ، فكيفَ إذا انضمَّ إلى ذلكَ هذا الوصفُ[1]؟! وللدَّلالةِ على نفاستِهِ[2]، وكونِهِ فائقًا في نوعِهِ[3]، ولأنَّهُ يناسبُ تضعيفَ الحسنةِ مِنْ عشرةِ أمثالِها إلى ما لا يعلمُهُ إلّا اللهُ[4].

ومِنَ العلماءِ مَنْ فسَّرَ الفضلَ الكبيرَ بالجنَّةِ، وذكرَ أنَّهُ حيثُ وقعَ في القرآنِ: (فضلٌ كبيرٌ) و(أجرٌ كبيرٌ) فالمرادُ الجنَّةُ[5]، فيكونُ ذلكَ مِنْ عاداتِ القرآنِ الكريمِ في استعمالِ الألفاظِ والتَّراكيبِ، وفي هذا التَّعبيرِ توسعةٌ للرَّجاءِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى أمرَ نبيَّهُ ﷺ أنْ يُبشِّرَ المؤمنينَ بأنَّ لهُم عندَهُ الجنَّةَ[6].

### بلاغةُ عطفِ ﴿وَلَا تُطِعِ﴾:

قولُهُ تعالى شأنُهُ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7]، وفائدةُ هذا العطفِ بيانُ ما ينبغي عليهِ ﷺ في التَّعاملِ معَ الكافرينَ والمنافقينَ بعدَ بيانِ ما ينبغي عليهِ مِنْ تبشيرِ المؤمنينَ وتثبيتِهم، وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ الدّاعيَ إلى اللهِ مُعرَّضٌ لإيذاءِ أعداءِ الدَّعوةِ وإغرائِهم لهُ لتركِ ما هو عليهِ مِنَ الحقِّ، فينبغي عليهِ أنْ يكونَ حَذِرًا ومُتيقِّظًا لدسائسِهم ومكائدِهم.

تيقُّظُ الدّاعيةِ لأعداءِ دعوتِهِ

### بلاغةُ النَّهيِ عنِ الإطاعةِ:

النَّهيُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ليسَ على ظاهرِهِ؛ لأنَّهُ ﷺ معصومٌ عن طاعتِهم في شيءٍ ممّا يريدونَهُ، ويُشيرونَ بهِ عليهِ، ولا يُتوقَّعُ منهُ الإطاعةُ حتى يُنهَى عنها[8]؛ بل هو

الثَّباتُ على الحقِّ وعدمُ الالتفات للباطل أو مداراةِ أهله سِمَةُ الدّاعيةِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 174.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 57.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374.
(5) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 3/ 441.
(6) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 389.
(7) أبو موسى، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 363.
(8) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 382.

محمولٌ على الدَّوام والثَّباتِ على ما كانَ عليهِ مِنْ عدمِ إطاعتِهم[1]، ويُؤيِّدُ ذلكَ استعمالُ صيغةِ المضارعِ المجزوم، والمعنى: استمرَّ على عدمِ إطاعتِهم، وفي ذلكَ إعلامٌ لهُم بأنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يقبلُ أقوالَهم؛ ليأسوا مِنْ ذلكَ[2]، أوِ النَّهيُ ورادٌ على سبيلِ التَّهييجِ والإلهابِ[3]، كأنَّهُ قيلَ: إنَّ مِنْ شأنِ النَّبيِّ الإعراضَ عن طاعةِ الكافرينَ والمنافقينَ، فلا تُطِعْهم.

**على الأُمَّة أن تحذرَ الكافرين والمنافقين**

يحتملُ كذلك أنْ يكونَ النَّهيُ في الحقيقةِ لأمَّتِه[4] وإنْ كانَ في الظّاهرِ لهُ، فيكونُ في الكلامِ تعريضٌ بغيرِهِ مِنْ أفرادِ أمَّتِه[5]، ونكتةُ توجيهِ النَّهيِ لهُ معَ أنَّ المُرادَ غيرُهُ المبالغةُ، بإخراجِ الكلامِ في صورةِ نهيِ مَنْ لا يُتصوَّرُ منهُ ارتكابُ المنهيِّ عنهُ، فغيرُهُ أولى بذلك، ووراءَ ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ على هذهِ الأمَّةِ أنْ تكونَ حَذِرةً في مسيرتِها مِنْ هذيْنِ الصِّنفيْنِ الخبيثيْنِ، فلا تُطيعُهما في أمرٍ مِنْ أمورِ دينها ودنياها، ولا تُعوِّلُ عليهما في مَشورةٍ[6].

**المبالغةُ في الزَّجرِ والتَّنفيرِ عنِ الإطاعةِ**

يُحتملُ أنْ يكونَ المُرادُ النَّهيَ عن مداراتِهم في أمرِ الدَّعوةِ، واستعمالِ لينِ الجانبِ في التَّبليغِ، والمسامحةِ في الإنذارِ، وقد كُنيَ عن ذلكَ بالنَّهيِ عن إطاعتِهم مبالغةً في الزَّجرِ والتَّنفيرِ عنِ المنهيِّ عنهُ، بنظمِهِ في سِلْكِ الإطاعةِ، وتصويرِهِ بصورتِها[7].

### علَّةُ ذِكْرِ الكافرينَ والمنافقينَ:

**الكفرُ والنِّفاقُ خَطَرانِ مُحدِقانِ بالأمَّةِ**

ذُكِرَ في قولِهِ تعالى ذِكرُهُ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ هذا الصِّنفانِ؛ لأنَّهما أخبثُ خلقِ اللهِ، وكانَ مِنْ دَأْبِهم السَّعيُ إلى إمالةِ

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 547، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 7/ 176.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 250 - 251.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 547.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 176.
(5) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 331.
(6) أبو موسى، دراسة تحليليَّة لسورة الأحزاب، ص: 367.
(7) أبو السَّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 108.

النَّبيِّ ﷺ عنِ الحقِّ، وحثِّهِ على إطاعتِهم فيما يُشيرونَ بهِ عليهِ، ومداهنتِهم في الدّينِ[1]، وهذانِ الصِّنفانِ أخطرُ أعداءِ الأمَّةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ فأحدُهما عدوٌّ مِنَ الدّاخلِ، ينخرُ في جسدِها، ويَسعَى إلى تفتيتِها وإضعافِها، وهمُ المنافقونَ الَّذينَ يتربَّصونَ بها الدَّوائرَ، والآخرُ عدوٌّ مِنَ الخارجِ، يكيدُ لها بأنواعِ المكائدِ، ولا يَرْقُبُ فيها إلّا ولا ذِمَّةً، ولا يدَّخِرُ فُرصةً للانقضاضِ عليها ونَهْشِ جسدِها مُستعينًا بالصِّنفِ الأوَّلِ.

**دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾:**

وجـــوبُ أخـذِ الـــحِـــذْرِ مـن جميعِ الكافرينَ والمنافقينَ

(أل) في ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ موصولةٌ، واسمُ الفاعلِ صلتُها في الكلمتيْن، والموصول من صيغ العموم، والتّقديرُ: ولا تطع كلَّ الذين كفروا ولا كلَّ الذين نافقوا، بقرينةِ مقامِ النَّهي عن إطاعةِ مَنْ يكيدُ للإسلامِ وأهلِهِ، ويتربَّصُ الدَّوائرَ برأسِ المؤمنينَ ﷺ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على ضرورةِ الحَذَرِ مِنْ جميعِ الكافرينَ والمنافقينَ؛ لأنَّ ما فيهم مِنْ نوازعِ الشَّرِّ والفسادِ ومحاربةِ الحقِّ وأهلِهِ أمرٌ مُشترَكٌ بينَهم على اختلافِ أمكنتِهم وأزمنتِهم، وفي ذلكَ إيقاظٌ للأمَّةِ وتحذيرٌ دائمٌ مِنْ هذينِ الصِّنفيْنِ.

**براعةُ الطِّباقِ:**

غـمُّ الـكـافـريـنَ سرورٌ للمؤمنينَ

في ذِكْرِ الكافرينَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بعدَ ذكرِ المؤمنينَ في قولِهِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ رعايةٌ لمُحسِّنٍ مِنَ المُحسِّناتِ المعنويَّةِ، وهو الطِّباقُ، ومِنْ بلاغتِهِ في هذا الموضعِ أنَّهُ يجعلُ أمامَ النّاظرِ صورةً للمؤمنينَ وهم تُنثَرُ عليهِم ألوانُ الحُبورِ والسُّرورِ، وصورةً للكافرينَ وهم يُنْهَى عن إطاعتِهم ومُلاينتِهم، وفي ذلكَ غمٌّ لهُم، ولا شكَّ أنَّ في غمِّهم زيادةً لسرورِ المؤمنينَ.

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 202.

### سرُّ تقديمِ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

المُجاهِرُ بالكُفْرِ أولى بعدمِ الإطاعةِ

قُدِّمَ الكافرونَ على المنافقينَ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾؛ ليكونَ ذِكرُهم عَقِبَ ذِكرِ المؤمنينَ المُبشَّرينَ بالفضلِ الكبيرِ، فيكونَ أنسبَ بالطِّباقِ، ولأنَّ أمرَ كفرِهم ومحاربتِهم للإسلامِ ظاهرٌ؛ لأنَّهم مجاهرونَ بالكفرِ؛ فالنَّهيُ عن إطاعتِهم أَوْلى، وأمّا المنافقونَ فيُبطِنونَ الكفرَ، ويُظهِرونَ الإسلامَ، ولذلكَ أُخِّرَ ذِكْرُهم، وإنْ كانوا عونًا للكفرةِ في الواقعِ؛ فقد كانوا يُدبِّرونَ معَهم المكايدَ، ويُظهِرونَ أنَّهم ينصحونَ النَّبيَّ ﷺ.

### نكتةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ:

الكافرونَ والمنافقونَ لا أمانةَ لهُم

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الكافرينَ والمنافقينَ المنهيَّ عن إطاعتِهم قد رَسَخوا في الكفرِ والنِّفاقِ، واشتُهِروا بهذينِ الوصفينِ، وفي هذا مزيدُ تحذيرٍ منهُم ومِنْ خبيثِ مكائدِهم؛ لأنَّ مَنْ ضَرِيَتْ نفسُهُ بالشَّرِّ والفسادِ ومعاداةِ الحقِّ وأهلِهِ لا يُؤتَمَنُ على شأنٍ مِنَ الشُّؤونِ، ولا يؤخذُ بزُخْرفِ قولِهِ.

### بلاغةُ اختصاصِ الكافرين والمنافقين بالذِّكْر:

لا يُتصوَّرُ عداوةُ أحدٍ للإسلامِ غيرِهم

اقتُصِر على ذِكْرِ الكافرين والمنافقين دون غيرهم لِوجوهٍ؛ **أحَدُها:** أنَّ ذِكْرَ الغَيْرِ لا حاجَةَ إلَيْهِ؛ لأنَّ غَيْرَهُما لا يَطْلُبُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ الاتِّباعَ، ولا يَتَوَقَّعُ أنْ يَصيرَ مُطيعًا لَهُ؛ بَلْ يَقْصِدُ اتِّباعَهُ ولا يَكونُ عِنْدَهُ إلّا مُطاعًا، **والثّاني:** هوَ أنَّهُ تَعالَى لَمّا قالَ: ولا تُطِعِ الكافِرينَ والمُنافِقينَ مَنَعَهُ مِنْ طاعَةِ الكُلِّ؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ طَلَبَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ طاعَتَهُ فَهوَ كافِرٌ أوْ مُنافِقٌ؛ لأنَّ مَنْ يَأْمُرُ النَّبيَّ بِأمْرٍ أمْرَ إيجابٍ مُعْتَقِدًا عَلَى أنَّهُ لَوْ لَمْ يَفْعَلْهُ يُعاقِبُهُ بِحَقٍّ يَكونُ كافِرًا[1]، أمّا **الثّالث**

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 154.

فإنَّ اليهود والنَّصارى ومَنْ على شاكلتهم منَ المجوس داخلون في عموم الكافرين والمنافقين؛ لأنّهم إنْ أعلنو كُفرهم وعدمَ إيمانهم فهم داخلون ضِمْنَ الكفّار، وإن أعلنوا الاسلام نفاقًا، فهم داخلون في زمرة المنافقين.

**بلاغةُ عطفِ ﴿وَدَعْ﴾:**

قولُهُ جلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، وفائدةُ العطفِ أنَّهُ ﷺ بعدَما نهَى نبيَّهُ ﷺ عن إطاعةِ الكافرينَ والمنافقينَ؛ لِما في إطاعتِهم مِنَ المَضَرَّةِ والأذَى؛ صرَّحَ بما اقتضاهُ النَّهيُ السّابقُ، وأمرَ نبيَّهُ بتركِ أذاهم، وعدمِ الالتفاتِ إليهِ[1]، وفي ذلكَ تكميلٌ لمقصودِ قطعِ الطَّريقِ على مَنْ يريدُ إضعافَ عزيمتِهِ ﷺ في الدَّعوةِ إلى اللهِ، وفي ذلك إشارةٌ أيضًا إلى أنَّ أذاهم للنَّبي ﷺ مُتحقِّقٌ، أطاعهم أم لم يُطعهم، فإن أطاعهم حلَّ الأذى في دينه، وإنْ لم يُطعهم آذوه في نفسه وأصحابه.

**كمالُ عدمِ إطاعةِ الكافرينَ والمنافقينَ بتركِ أذاهم**

**بلاغةُ الأمرِ ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾:**

يجوزُ أنْ يكونَ فعلُ (دَعْ) مُستعمَلًا في حقيقتِهِ، ويُرادَ بتركِ أذى الكافرينَ والمنافقينَ عدمُ معاقبتِهم، وأنْ يترفَّعَ النَّبيُّ ﷺ عن مُؤاخذتِهم على ما يَصدُرُ منهُم في شأنِهِ، وهذا إعراضٌ عن أذىً خاصٍّ لا عمومَ لهُ، فليسَتْ آياتُ القتالِ بناسخةٍ لهُ[2]؛ لأنَّ الحديثَ عن أذاهم المُتعلِّقِ بهِ ﷺ فيما يُشيعونَهُ حولَهُ مِنَ الأكاذيبِ، ونحوِ ذلكَ مِنْ ضروبِ الأذى، لا عن الأذى النّاجم عن محاربتِهم للمسلمينَ؛ فإنَّ ذلكَ يستوجبُ أنْ يُكَفَّ عُدوانُهم، وتُكسَرَ شوكتُهم، وتُطفأ نيرانُ حروبِهم.

**التَّرفُّعُ عن مُجاراةِ أهلِ الرَّذائلِ والصَّبرُ على أذاهم في سبيل الله**

يجوزُ أنْ يكونَ الفعل (دع) مُستعمَلًا مجازًا في عدمِ الاكتراثِ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 58.

بما يقولونَهُ ممّا يُؤذي[1]، وفي ذلكَ حثٌّ لهُ ﷺ على مزيدٍ مِنَ الصَّبرِ والتَّجلُّدِ في مقارعةِ أهلِ الباطلِ، وتنبيهٌ للدُّعاةِ مِنْ بعدِهِ على وجوبِ الاستمرارِ على مجاهدةِ المُبطلينَ، وأهلِ البِدَعِ والضَّلالاتِ، واحتمالِ ما يُلاقونَ في سبيلِ اللهِ مِنْ أنواعِ الأذى[2].

### دلالةُ إضافةِ الأذى إليهم:

احتمالُ الأذى في سبيلِ اللهِ وحَبْسُ النَّفْسِ عن إنفاذِ غضبِها

الظّاهرُ أنَّ الإضافةَ في قولِهِ تعالى: ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ مِنْ إضافةِ المصدرِ إلى الفاعلِ[3]، والمعنى: أعرِضْ عن أقوالِهم وما يُؤذونَكَ بهِ، ولا تشتغلْ بهِ[4]، واصبرْ على ما ينالُكَ منهُم؛ فإنَّ اللهَ تعالى ينتقمُ منهُم، ويجعلُ لكَ أجرًا عظيمًا[5].

الأنبياءُ لا يَحرصون على الانتقامِ بقَدْرِ الإصلاحِ

ويحتملُ أنْ تكونَ الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ مِنْ إضافةِ المصدرِ إلى المفعولِ؛ أيْ: دَعْ أذاكَ إيّاهم[6]، ولا تُعاقِبْهم، واصفَحْ عن زَلَلِهم[7]، وتسميةُ ذلكَ إيذاءً لكونِهِ في صورةِ الإيذاءِ، وإلّا فما هو للجزاءِ لا يكونُ إيذاءً[8].

### نكتةُ اختيارِ الأذَى دونَ الإيذاءِ:

أذى الكافرينَ والمنافقينَ إلى اضمحلالٍ

قيلَ: ﴿أَذَىٰهُمْ﴾، ولم يُقَلْ: (إيذاءَهم)؛ لأنَّ الأذَى أوجزُ؛ لأنَّ حروفَهُ أقلُّ، وقد بُنِيَتْ هذهِ الآيةُ وما قبلَها على الإيجازِ، فيكونُ الأذَى أنسبَ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ أذَى الكافرينَ والمنافقينَ وإنْ كَثُرَ وعَظُمَ فعاقبتُهُ إلى زوالٍ وقلَّةٍ.

### بلاغةُ عطفِ ﴿وَتَوَكَّلْ﴾:

مَنْ رفعَ الأمرَ للهِ كفاهُ

قولُهُ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿وَدَعْ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 58.
(2) محمد أبو موسى، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 367.
(3) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 547.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 234، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 202.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 382.
(6) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 547.
(7) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 202.
(8) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 382.

أَذَىٰهُمْ﴾، ونكتةُ العطفِ: أنَّهُ لمّا كانَ تركُ المُؤذي والإعراضُ عنهُ شاقًّا على النَّفسِ ذُكِرَ الدَّواءُ، وهو التَّوكُّلُ على اللهِ[1]، وكأنَّ تفويضَ الأمرِ للهِ هو علَّةُ الأمرِ بتركِ أذَى الكافرينَ والمنافقينَ؛ فإنَّ اللهَ كافٍ عبدَهُ ﷺ شرورَهم، وناصرُهُ ومُظهِرُهُ عليهم، ولهُ في إمهالِهم حِكَمٌ، حتَّى إذا أخذَهم لم يُفلِتْهم.

### بلاغةُ الأمرِ بالتَّوكُّلِ:

العبدُ يُفوِّضُ أمرَهُ إلى اللهِ على الدَّوامِ

أمرَ اللهُ نبيَّهُ الكريمَ ﷺ بالاعتمادِ عليهِ، وتفويضِ الأمرِ والتَّدبيرِ إليهِ، فقالَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: اعتمِدْ على اللهِ في تبليغِ الرِّسالةِ، وفي كفايتِهِ إيّاكَ شرَّ عدوِّكَ[2] وفي كلِّ شيءٍ، ومعلومٌ أنَّ النَّبيَّ ﷺ مُتوكِّلٌ على اللهِ، فليسَ المُرادُ بالأمرِ إحداثَ التَّوكُّلِ؛ بل الاستمرارُ عليهِ، واتِّخاذُهُ زادًا وعُدَّةً لكلِّ خَطْبٍ مُلِمٍّ، فالعبدُ لا ينفكُّ عن رَبْطِ الوسائلِ والمقاصدِ باللهِ، وفي الكلامِ إيناسٌ لهُ ﷺ وتثبيتٌ[3]، وتعليمٌ للدُّعاةِ ألّا يَرْكَنوا إلى ما عندَهم مِنَ الحُجَجِ والدَّلائلِ والأسبابِ المادّيّةِ والمعنويّةِ؛ بل يضمّونَ إلى ذلكَ طلبَ المَدَدِ والعونِ والحفظِ مِنَ اللهِ؛ فإنَّ طريقَ الدَّعوةِ إلى اللهِ شائكٌ عظيمُ الخَطَرِ.

### دلالةُ حرفِ الجرِّ ﴿عَلَى﴾:

لا يَخيبُ مَنِ استجارَ باللهِ

حرفُ الجرِّ ﴿عَلَى﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ للاستعلاءِ المجازيِّ، وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّهُ لا ينبغي أنْ يكونَ للعبدِ مُتعلَّقٌ إلّا الاعتمادُ على اللهِ، فتفويضُ الأمرِ إليهِ استمساكٌ بالعُروةِ الوُثْقَى لا انفصامَ لها، وطرحٌ للأحمالِ والأثقالِ في ساحةِ مَنْ لا تَضيعُ عندَهُ الحقوقُ، ولا يَخيبُ مَنْ فوَّضَ الأمرَ إليهِ، ولا يُضامُ مَنِ التجأ إلى حِماهُ، فهو مُعتمِدٌ على العليِّ المتعالي، فالنَّبيُّ ﷺ مُستَعْلٍ بتوكُّلِه على اللهِ على كلِّ شيءٍ دونه.

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 547، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 58.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 202.

### سرُّ إظهارِ لفظِ الجلالةِ:

التَّوكُّلُ الحقُّ يكونُ على الحيِّ الَّذي لا يموتُ

الظّاهرُ أنْ يُقالَ: (وتوكَّلْ عليهِ)؛ لتقدُّمِ ذِكرِ لفظِ الجلالةِ، لكنْ عُدِلَ عنِ الإضمارِ إلى الإظهارِ فقيلَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ لتقويةِ داعي الامتثالِ بالمأمورِ؛ فاللّهُ سبحانَهُ هو الكافي، وهو النّاصرُ، ولا رادَّ لأمرِهِ، وهو الحيُّ الَّذي لا يموتُ، فلا يَخشَى المُتوكِّلُ عليهِ أنْ يَلْحَقَهُ ضعفٌ أو موتٌ، وأيضًا في إظهارِ لفظِ الجلالةِ هنا، وفي قولِهِ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ إشعارٌ بمعيَّةِ اللّهِ تعالى للنَّبيِّ ﷺ في جميعِ مراحلِ دعوتِهِ، وتنبيهٌ على أنَّهُ لا ملجأ إلّا للّهِ، ولا اعتمادَ إلّا على اللّهِ، وتقويةٌ لاستقلالِ الجملةِ، بحيثُ تَصلُحُ لأنْ تُستعمَلَ استعمالَ الأمثالِ الجاريةِ.

### نكتةُ إطلاقِ التَّوكُّلِ:

كلُّ عبدٍ مُفتقرٌ إلى اللهِ في كلِّ شيءٍ

قيلَ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بإطلاقٍ، ولم يُقيَّدْ بمعيَّنٍ، فلم يُقَلْ: (وتوكَّلْ على اللّهِ في دعوتِكَ)، أو (في كذا وكذا)؛ ليكونَ التَّوكُّلُ على اللّهِ شاملًا لكلِّ شأنٍ مِنْ شؤونِهِ ﷺ، والمعنى: وتوكَّلْ على اللّهِ في كلِّ ما تأتي وتَذَرُ مِنَ الشُّؤونِ الَّتي مِنْ جملتِها شأنُ الدَّعوةِ إلى اللّهِ، والصَّبرُ على أذى الكافرينَ والمنافقينَ؛ فإنَّهُ ﷺ يكفيكَ إيّاهم[1]، وفي ذلكَ تعليمٌ للعبدِ أنْ يُظهِرَ الافتقارَ للّهِ في كلِّ شيءٍ، فذلكَ مِنْ علاماتِ العبوديَّةِ الصّادقةِ.

### بلاغةُ جملةِ الفاصلةِ:

النَّبيُّ ﷺ منصورٌ على أعدائِهِ

الظّاهرُ أنَّ الواوَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ استئنافيَّةٌ، والجملةُ تذييلٌ لجملةِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، والمعنى: فإنَّ اللّهَ هو الوكيلُ الكافي في الوكالةِ[2]، وفيها تأكيدٌ للأمرِ السّابقِ ومزيدُ حثٍّ عليهِ؛ فإنَّهُ لمّا كانَ الوكيلُ قد لا ينهضُ بجميعِ الأمورِ؛ أخبرَ سبحانَهُ بأنَّ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 108، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 332.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 59.

التَّوكُّلَ عليهِ كافٍ[1]، وفي الكلامِ وعدٌ بنصرِ النَّبيِّ ﷺ على أعدائِهِ مِنَ الكافرينَ والمنافقينَ[2].

### سرُّ حذفِ مفعولِ ﴿وَكَفَىٰ﴾:

اللهُ كافٍ كلَّ مَنِ اعتمدَ عليهِ وقَصَدَه

حُذِفَ مفعولُ ﴿وَكَفَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ لإفادةِ العمومِ؛ أيْ: كفَى كلَّ أحدٍ توكَّلَ عليهِ؛ فهو سبحانَهُ القويُّ العزيزُ الَّذي لا تَؤودُهُ كثرةُ المسائلِ والحاجاتِ، ولا تختلطُ عليهِ الأحوالُ والشُّؤونُ، ولو أنَّ الخلقَ كلَّهم ورَدوا ساحةَ كرمِهِ، وفوَّضوا إليهِ أمورَهم، وسألوهُ حاجاتِهم - لأصدرَهم جميعًا، ولم يَنْقُصْ ذلكَ مِنْ مُلْكِهِ شيئًا.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بالكفايةِ:

الكفايةُ أن يجد الإنسانُ ما يكفيه، سواء أكانت الكفاية من نفسه أم من غيره، ويلزمُ منَ الكفاية ألّا يحتاج الإنسان لأحدٍ؛ إذ عنده ما يكفيه.

### دلالةُ الباءِ في قولِه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾:

مِنْ علاماتِ التَّوكُّلِ الثِّقةُ بكفايةِ اللهِ

الباءُ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ صلةٌ للتَّأكيدِ[3]؛ أيْ: تأكيدِ كونِ الكافي هو اللهَ[4]، والأصلُ: وكفى اللهُ وكيلًا، وفي الإتيانِ بالباءِ زيادةُ بثٍّ للطُّمأنينةِ في نفسِ المُتوكِّلِ بأنَّ اللهَ تعالى لا يُخيِّبُ مَسْعاهُ، وفي الكلامِ إشارةٌ إلى محذوفٍ على رأي بعض المُفسِّرين، كأنَّه حذف فاعل ﴿وَكَفَىٰ﴾ وحذف فعلَ الأمر منه، وأصلُ الكلام: (وكفى اللهُ وكيلًا؛ فاستفد أنت من هذا واكتف باللهِ وكيلًا)، ويُعبِّر البعضُ عن ذلك بأنَّ الفعل الماضي ﴿وَكَفَىٰ﴾ بمعنى

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374.
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 390.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 22/ 59.
(4) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 374.

الأمر، وعليه فتكون الباء أصليَّةً لا زائدةً، ويكون المعنى: واكتف بالله وكيلًا.

### بلاغةُ إظهارِ لفظِ الجلالةِ:

اللهُ هو الوكيلُ الكافي في الوكالةِ

مُقتضَى الظّاهرِ أنْ يُقالَ: (وكفى بهِ وكيلًا)، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ لتعليلِ الحُكمِ؛ فإنَّ كفايةَ الوكيلِ بسببِ كونِهِ ذا العظَمةِ والجلالِ الَّذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ، ولتأكيدِ استقلالِ جملةِ التَّذييلِ[1]، بحيثُ تكونُ جاريةً مَجْرَى الأمثالِ، ولو استُعمِلَ الضَّميرُ لتوقَّفتِ الجملةُ على سابقتِها، وما أفادتِ الاستقلالَ، وفي الكلامِ إشارةٌ إلى أنَّ الكفايةَ التّامَّةَ لا تكونُ إلّا منَ اللهِ.

### بلاغةُ التَّمييزِ:

التَّوكُّلُ على اللهِ زادُ المؤمنِ

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَكِيلًا﴾ تمييزٌ، والغرضُ منهُ زيادةُ التَّأكيدِ في تحقيقِ كفايتِهِ تعالى لمَنْ توكَّلَ عليهِ[2]، ولذلكَ نرى الأمرَ بالتَّوكُّلِ على اللهِ والإشارةَ إلى كفايتِهِ - يتكرَّران في كتابِ اللهِ كثيرًا؛ ليطبعَ في القلوبِ هذا المعنى الجليلَ؛ فإنَّ القلبَ إذا أحسنَ التَّوكُّلَ على اللهِ، وأيقنَ بكفايةِ ربِّهِ - تتكوَّنُ فيهِ طاقةٌ هائلةٌ، تُمِدُّهُ بزادٍ لا يَنْفَدُ في مواقفِهِ الصَّعبةِ[3].

### براعةُ ردِّ العَجُزِ على الصَّدرِ:

اللهُ خيرُ وكيلٍ وكافٍ لعبادِهِ المؤمنين

في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُحسِّنٌ لفظيٌّ، وهو ردُّ العَجُزِ - وهو ﴿وَكِيلًا﴾ - على الصَّدرِ، وهو ﴿وَتَوَكَّلْ﴾؛ لِما بينَ اللَّفظيْنِ مِنَ التَّجانسِ في الاشتقاقِ، وفائدتُهُ إكساءُ الآيةِ ثوبَ التَّناسبِ والتَّلاؤمِ اللَّفظيِّ، والإشارةُ إلى أنَّ مَنْ توكَّلَ على اللهِ وجدَ اللهَ خيرَ وكيلٍ وكافٍ في البدايةِ والنّهايةِ.

---

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/ 108، والآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 224.

(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 15/ 375.

(3) أبو موسى، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 367.

### بلاغةُ المُقابلةِ:

تتميمُ التَّشريفِ بالتَّكليفِ

لمّا وصفَ ﷺ نبيَّهُ ﷺ بخمسِ صفاتٍ في قولِهِ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ - قابلَ في قولِهِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ كلَّ صفةٍ منها بخطابٍ مناسبٍ؛ فحذفَ مقابلَ الشّاهدِ؛ لدلالةِ السّياقِ عليهِ، والتَّقديرُ: فراقِبْ أحوالَ أمَّتِكَ، وقابلَ المُبشِّرَ بالأمرِ ببشارةِ المؤمنينَ، وقابلَ النَّذيرَ بالنَّهيِ عن مراقبةِ الكفّارِ والمنافقينَ والمبالاةِ بأذاهم؛ لأنَّهُ إذا تركَ أذاهم في الحاضرِ - والأذى لا بدَّ لهُ مِنْ عقابٍ عاجلٍ أو آجلٍ - كانوا مُنذَرينَ بهِ في المستقبلِ، وقابلَ الدّاعيَ إلى اللّهِ بتيسيرِهِ بالأمرِ بالتَّوكُّلِ عليهِ؛ فإنَّ مَنْ توكَّلَ على اللّهِ يُسِّرَ عليهِ كلُّ عسيرٍ، وقابلَ السِّراجَ المُنيرَ بالاكتفاءِ بهِ تعالى؛ فإنَّ مَنْ جعلَهُ اللّهُ برهانًا نيِّرًا يَهدي الخلقَ حقيقٌ بأنْ يكتفيَ باللّهِ عن كلِّ ما سواهُ[1].

### المُتشابهُ اللَّفظيُّ:

تكفَّل الله ﷻ بتوعُّد مَن يُؤذي النَّبيَّ، ومَن يُؤذي المؤمنين من بعده

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٣﴾ [الأحزاب: 1 - 3]، وقال تعالى هنا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾، وبين الموضعيْن فروقٌ:

**الأوَّل:** بُدِئت السّورة بالأمر بتقوى اللّه تعالى، ثمّ باتّباع الوحي، ولم يُذكر ذلك هنا؛ لأنَّ هذا الأمر مناسبٌ لبدء السّورة، ولم يُذكر شيءٌ يتطلَّب تكرارَه.

**الثّاني:** انفرد الموضع الثّاني بقوله تعالى: ﴿وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾، وهذا

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 234، والنّسَفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 36.

مناسبٌ لعددٍ منَ الأذى المذكور قبل هذا الموضع وبعده منَ الأحزاب، ومن بني قريظة، ومن نساء النَّبيِّ ﷺ حين طلبوا الدُّنيا، ومنَ المؤمنين حين جلسوا في بيوت النّبيّ ﷺ بعد الطّعام بلا داعٍ، وحين رغب بعضُهم في نكاح أزواج النّبيّ ﷺ بعده، ولذلك تكفَّل الله ﷻ بتوعُّد مَن يُؤذيه، ومَن يُؤذي المؤمنين من بعده، وختم السّورة بأن نَهى المؤمنين عن أن يُؤذوا رسولَ الله كما آذى اليهودُ موسى عليه السلام.

**الثّالث**: اشترك الموضعان في النَّهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، وبالأمر بالتّوكُّل على الله، وهما أمران لازمان للنَّبيِّ ﷺ منذ البعثة، والإعلانِ بالدّعوة، حتى أتمَّ الله عليه نعمته بالنَّصر والفتح، ودخولِ النّاس في دين الله أفواجًا، وكلُّ ذلك علامةٌ على قُرْب أجله، فهما شاملان كلَّ حياته الدَّعوية ﷺ، وهما كذلك مأوًى لكلِّ داعيةٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ من بعده، والرُّكنُ الشَّديد الذي يركن إليه، فكان التَّكرارُ في سورةٍ مليئةٍ بالأذى والشَّدائد، دافعًا إلى التَّذكير بعدم التّنازل عن ثوابت الدّين، والتّوكُّل على الله في سبيل تحقيق ذلك، وكفى بالله وكيلًا.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### البِشرُ والسُّرورُ:

البِشْر سرورٌ ظاهر، والبشارةُ والخبر السّارُّ تظهر آثارهما على البَشْرة لا سيما الوجه، كما أنّه فيه معنى الحُسْن الظّاهر على الوجه أيضًا؛ لأنَّ السُّرور القلبيَّ يُلقي على الوجوه بهاءً وإشراقًا، ولذلك وُصِفت وجوهُ المؤمنين يوم القيامة بالاستبشار، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ [عبس: 38 - 39]؛ فالتَّبشير استُخدم في إخبار المؤمنين بما يسرُّهم في الدُّنيا والآخرة، أمّا السّرور فيختصُّ بالقلوب غالبًا، وهو فرحٌ خالصٌ خفيٌّ، وقد يظهر أثره بِشْرًا وحبورًا.

البِشْر أعمُّ من السُّرور وأنفعُ لصاحبه وأظهرُ

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»